أثر الرذائل في سقوط الحضارة

الاستاذ الدكتور: أ. د. محمد حمزة الشيباني
جامعة بابل /كلية العلوم الإسلامية
قسم علوم القرآن

نقاء علي حسين
جامعة بابل /كلية العلوم الإسلامية
قسم علوم القرآن

البريد الإلكتروني Email : MM770054@yahoo.com
naqaaalawady946@gmail.com

الكلمات المفتاحية: الظلم، الترف، المترفين، الافساد، الحضارة، الأرض.

كيفية اقتباس البحث

الشيباني ، محمد حمزة ،نقاء علي حسين، أثر الرذائل في سقوط الحضارة، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، تشرين الاول ٢٠٢٣،المجلد:١٣ ،العدد:٤ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The Impact of vices on the fall of civilization

Assistant professor. Prof. Dr. Mohammed Hamza Al-Shaibani
University of Babylon / Faculty of Islamic Sciences / Department of .Quran Sciences

Naqaa Ali Hassan
University of Babylon / Faculty of Islamic Sciences Department of Quran Sciences

Keywords : injustice, luxury, luxury, corruption, civilization, land.

How To Cite This Article
Al-Shaibani, Mohammed Hamza, Naqaa Ali Hassan, The Impact of vices on the fall of civilization, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, October 2023,Volume:13,Issue 4.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

The Holy Qur'an raised the mind on good judgment, reasoning and argument to know the truth, and this way of thinking implies the order of results and premises. Lost, forcing people, and arrogance, the fate of those will perish. Civilization is not material progress. Rather, moral values, belief in the oneness of God, and righteous deeds are the real basis for building civilization, while abandoning values means civilization downfall and destruction. God hates injustice because It is common in any society, even if the oppressors are Muslims, and the impact of vices in the downfall of civilization is emphasized by the Holy Qur'an.

This is because God, His Majesty, does not accept that the Islam of Muslims from among His servants should intercede for them in committing injustice and usurping the rights of others. God in His servants will recompense the societies in which justice is common, in the abode of the world, even if its people are infidels, then this same Sunnah decrees that he will punish the societies in which injustice is common, in the world, and that civilization remains, lives, and continues as long as

the network of social relations is sound and strong. If civilization is corrupted, it will deteriorate and fall, and Islam offers the best solution in achieving justice through the establishment of social justice and the elimination of differences between individuals and classes in order to advance the Arab nation. Safety, security and peace،Islam has taken great care to establish the rule of justice as one of the rules of governance in Islam, as it is the main pillar in the establishment of the Arab Islamic state and Islamic rule. Islam does not really exist in a society that is dominated by injustice and does not know justice. And the Messenger ((peace be upon him)) commanded the establishment of justice among people, he said ((peace be upon him)) "Justice for a day is like worshiping forty years," and God has prepared for those who judge with justice among people a high position on the Day of Resurrection when God will shade them in His shade on a day when there is no shade but His shade, he said The Messenger of God ((peace be upon him)): There are seven whom God will shade on the Day when there will be no shade but His, and he mentioned the first of these seven, the just Imam. And after abandoning justice unjustly in the eyes of Islam, God Almighty forbade injustice and vilified its people and threatened them with severe punishment on the Day of Resurrection and destruction in this world.

ملخص العربي:

إن القرآن الكريم ربى العقل على حسن المحاكمة والاستدلال والجدل لمعرفة الحق، وهذا الأسلوب في التفكير مفاده ترتيب النتائج والمقدمات، وان القرآن الكريم عندما نقل عن الأقوام السابقة أخبار حضارتهم وسبب ضياعها، إنما كان السبب تجبرهم وقتلهم وبطشهم، ففي سورة القصص تقرأ ان القيم الخلقية إن فقدت، وتجبر الناس، وتكبروا فان مصير أولئك الهلاك، فالحضارة ليست تقدما ماديا، بل أن القيم الخلقية والاعتقاد بوحدانية الله، والعمل الصالح هي الأساس الحقيقي في بناء الحضارة في حين أن التخلي عن القيم، فمعنى ذلك السقوط الحضاري والهلاك،فإن الله يكره الظلم إذ يشيع في أي مجتمع من المجتمعات، وإن كان الظالمون فيها مسلمين و إن أثر الرذائل في سقوط الحضارة ركز عليه القرآن الكريم.

وذلك أن الله جل جلاله لا يرضى أن يكون إسلام المسلمين من عباده شفيعاً لهم في ارتكاب الظلم واستلاب حقوق الآخرين، وبعبارة أخرى: تعالى ربنا وتنزه عن ان يرشوه مسلم بإسلامه في مقابل أن يصفح عما قد يرتكبه من المظالم في حق الآخرين، وإذا كان من سنة الله في عباده أن يجزي المجتمعات التي يشيع فيها العدل، في دار الدنيا، ولو كان أهلها كافرين، فإن هذه السنة ذاتها تقضي أن يعاقب المجتمعات التي يشيع فيها الظلم، في دار الدنيا، وأن

الحضارة تبقى وتعيش وتستمر ما دامت شبكة العلاقات الاجتماعية سليمة قوية، فإذا فسدت تدهورت الحضارة وسقطت، والإسلام يقدم الحل الأمثل في تحقيق العدالة من خلال إقامة العدالة الاجتماعية وإزالة الفوارق بين الأفراد والطبقات من اجل النهوض بالأمة العربية، وإذا شعر الناس بإقامة العدل في مجتمعهم وسيادته في حياتهم تستقر نفوسهم وتطمئن قلوبهم وتهدأ أحوالهم ويزدهر مجتمعهم ويعمهم الخير والأمن والأمان والسلامة والسلام،وقد عني الإسلام عناية فائقة بتقرير قاعدة العدالة من قواعد الحكم في الإسلام بوصفها الدعامة الرئيسة في قيام الدولة العربية الإسلامية والحكم الإسلامي فلا وجود للإسلام فعلا في مجتمع يسوده الظلم ولا يعرف العدل ، وأمر الرسول (ﷺ) بإقامة العدل بين الناس، قال (ﷺ) " عدل يوم كعبادة أربعين سنة "، وقد أعد الله للذين يحكمون بالعدل بين الناس منزلة رفيعة يوم القيامة حيث يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله، قال رسول الله (ﷺ): سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله ، وذكر أول هؤلاء السبعة الإمام العادل. وبعد ترك العدل ظلماً في نظر الإسلام والله سبحانه وتعالى حرم الظلم وذم أهله وتوعدهم بالعذاب الشديد يوم القيامة والهلاك في الدنيا.

أثر الرذائل في سقوط الحضارة

المقدمة

إن أثر الرذائل في سقوط الحضارة ركز عليه القرآن الكريم عندما تحدَّث عن سقوط الحضارات، اذ يُركِّز على الأسباب الداخليَّة، ويعتبرُها العاملَ الجوهريَّ في الانحطاط، والمقصود بالسقوط الحضاري ذاك الانهيار الداخليُّ للمجتمعات، وانحطاطُ عزتِها، وهوانُها على الأمم الأخرى، وذلك عندما تذوب وتضعُفُ معنويًّا وروحيًّا، والثابت في تاريخ الإنسانية أن الأمم والإمبراطوريات والحضارات الغابرة التي جاء ذكرُها في القرآن الكريم لم ينقرضْ نجمُها، ويندثِرْ كيانُها البشريُّ كليَّةً، وإنما ضعُفَت واستكانت، وغاب تأثيرُها المباشر في الحياة، وأوضحُ مثالٍ على ذلك حضارةُ العرب الهالكة كعاد وثمود، الذين بلغوا شأنًا حضاريًّا عظيمًا، حكى القرآن الكريم بعضَه للاتعاظ والاعتبار، والثابت أن هؤلاء العرب وغيرَهم من الأمم البائدة لم يُستأصلُوا استئصالاً كليًّا، وإنما أهلك اللهُ الظالمين والكافرين منهم، وترك رسُلَهم والذين آمنوا منهم؛ ليستمروا في عمارة الحياة، ويمكن القولُ: إن سقوط الحضارة راجعٌ بالأساس إلى فساد أركانِها كلِّها أو أحدِها فكرًا أو سلوكًا.

المبحث الاول

الظلم

"الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه وهو الميل عن القصد [١]. والظلم أنواع فقد يكون بمعنى الشرك كقوله تعالى: ﴿**انَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾، وكقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾[٢].

ولقد كان الظلم أول ما حذر الله منه آدم وزوجه، فقال تعالى: ولقد كان الظلم أول ما حذر الله منه آدم وزوجه، فقال تعالى: ﴿**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فتكونا من الظالمين**﴾[٣].

ومن هنا تقرر سنة الله أن لا سعادة إلا في اتباع هدى الحق والشفاء في تركه، وغدا الظلم سنة من سنن الله في إهلاك الاجيال وتقرر سببا في سقوط الحضارات وإبادة المدنيات وإزالة الدول والحكومات فقال الله: ﴿**وَما كانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرى بِظُلْمٍ وَأَهْلُها مُصْلِحُونَ ۝ وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِدَةً وَلا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ**﴾[٤].

لقد جاء الحديث في هذه الآيات تكملة في التعقيب على مصارع القرى الثاوية والقرى الغابرة يشير من طرف خفي إلى أنه لو كان في هذه القرون أي الأجيال أولوا بقية يحافظون على دعوة الأنبياء فينهون عن الفساد في الأرض ويصدون العالمين عن الظلم في حق الله والعباد وأنفسهم، ما أخذت تلك القرى بعذاب الاستعمال الذي حل بأمم كثيرة كعاد وثمود وسبأ، ومن سنن الله وعدله ألا يأخذ القرى بظلم إن كان أهلها مصلحين، أي كانوا على الاستقامة، ولما كانت القلة المستضعفة على الصلاح والعدل، فأنحاها الله، وأهلك الكثرة الظالمة المترفة، وهذه الآية واحدة من جملة الآيات التي تكشف عن سنة من سنن الله في الأمم والحضارات والتي حل بها عذاب الله فأهلكها هلاك استئصال لو حدث انحلال واختلال[٥].

قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ مِن أَنبَاءِ القُرى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنها قائِمٌ وحَصِيد ۝ وما ظَلَمْناهم ولَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهم فَما أَغْنَتْ عَنْهم آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَمّا جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وما زادُوهم غَيْرَ تَتْبِيبٍ ۝ وكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذا أَخَذَ القُرى وهي ظالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾[٦].

ذلك إشارة إلى ما قص من أنباء الأمم المالكة، وهذه الآيات عائمة وإشارة إلى قرى بالدة وحضارات سادرة كثيرة ما زالت أنباؤها باقية، وكثير من آثارها معروضة مشاهدة تزحم النفس والخيال فمنهم الغارقون بالطوفان، ومنهم بالعاصفة المدمرة، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من خسفت به وبداره الأرض ومنهم من يقدم قومه يوم القيامة، فيرد النار وما كان للناس من علم بهذه الحضارات وأنبأهم القرآن الذي يستهدف بذلك تربية الأمم والشعوب، ومعرفة سنن الله في

الحضارات، فما زال منها قائم ترى آثاره وتشهد على ما بلغ أهلها من القوة كبقايا عاد في الأحقاف، ومحمود في الحجر، ومنها حصيد أي كالزرع المحصود "وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم" وظلم النفس هو تعطيل وسائل الإدراك والتدبر فيها، وهي الحواس، وذلك بالتولي عن الحق والتكذيب : به والاستهزاء بالوعيد وعدم استعمال العقل الاستعمال الصحيح وعند ذلك حق بهم ما كان به يستهزئون "فما أغنت عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب، وها هي العاقبة تصدق النذر والآلهة التي تشبثوا بها وعبدوها من دون الله، فلم تزدهم إلا خسارة ودمارا "وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة" وبهذا الظلم يأخذ ربك القرى والظلم هنا بمعنى الشرك : أي يكون الأخذ وله طرق شتى حيث نكون الأمة مشركة تدين لغير الله بالطاعة والامتثال ويكون الأخذ بعد الإمهال والابتلاء والاستدراج والنذر وإقامة البراهين والأدلة واجراء السنن الخارقة، وبهذا تقاد حضارات الأمم الظالمة إلى مصيرها الكالح الذي قدره الله وفق سنة حكيمة عادلة لا تتخلف على مدار الزمان وذلك الأخذ الأليم في الدنيا علامة على العذاب الشديد في الآخرة، "إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة[٧].

إن في ذلك لآية "أي فيما قص في هذه السورة أو في أخذ الظالمين "لآية" لعبرة يعتبر بها عن موجبات الهلاك [٨].

وكثيرة تلك القرى التي أهلكها الظلم فها هي عروشها أي سقوفها ساقطة وآبارها معطلة، فكانت منظرا موحشا كئيباً مؤثرا في المارين داعيا إلى التأمل في الصور الخالية والمنجزات الذاهبة، قال تعالى: ﴿**فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ [٩].

أي فكم من أهالي قرية أهلكناهم بسبب الظلم وهو الشرك والكفر، وهذه بقاياهم وآثارهم على الأرض تدل على ما وصلوا إليه من تقدم وعمران أفلم يرى غيرهم من مشركي مكة في تجارتهم ليكون لهم ما شاهدوه اعتبار وتدبر فإنها لا تعمى الابصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، أي ليس الخلل في حواسهم وجوارحهم، ولكنها في مشاعرهم وعقولهم باتباع الهوى والغفلة [١٠].

ولقد ظلت أخبار مصارع الغابرين وعواقب الظالمين على مر العصور وكر الدهور شاخصة قائمة في أذهان أولى الألباب تتحدث بالعبر وتنطق بالعظات وهي أبلغ من دموع الباكين، ولكن أين العقول المدبرة والقلوب المتعضة، وسنة الله سائرة لا تتبدل ولا تتحول وما زال

الظالمون في كل زمان يطلبون العذاب والهلاك بلسان القول أو الحال، وقال الإمام الزمخشري: إن هذه القرية هي بلد بمدين أمر عليها صالح عليه السلام أحد المؤمنين به فقتلوه، فأهلكهم الله وعطل بترهم وخرب قصورهم "فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة..." أي كم من قرية كانوا مثلكم ظالمين وقد أنذرتهم حينا ثم أخذتهم بالعذاب الشديد [١١].

وفي اليمن قامت حضارة عربية ذات محمد باذخ وعز تليد ولكن بلدها الظلم وأهلكها الأعراض، وفي حديثنا عن هذه الحضارات لا تخرج عن شواهد القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ**﴾. وقوله تعالى: ﴿**فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**﴾ [١٢].

وإن التعبير البشرى ليعجز عن تبسيط هذه الأوجه البلاغية القرآنية المعجزة التي تنطوي عليها هذه الآيات التي استوعب مناظر تلك الحضارات وذكر علل بوارها ودمارها، وحوت اطوارا تاريخية مرت بها أمم وشعوب هذه المنطقة من الجزيرة العربية، حتى إذا عرف الباحث مصير هذه الحضارة هاله وأدهشه من وصفها واجهه قوله تعالى: ﴿**فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ**﴾، وأدركهم الغرق والهلاك بسبب الإعراض والظلم والكفر بالنعم، والآيات صريحة أن مدينة سبأ كانت حاضرة زاهرة مستكملة الأدوات وأن مدنها ذاخرة بالأشجار عامرة بالبساتين عن اليمين والشمال، وكان أهلها مهرة في العمارة والنحت يدلنا على ذلك ما خلفوه من سدود وقصور وحصون ومدائن ومعابد والحياض لخزن المياه، وعرفوا التجارة والزراعة فزرعوا السهول المنبسطة وسفوح الجبال وعنوا بمسائل الري عناية خاصة، وكانت سبأ كلها أعجوبة من أعاجيب الزمان التي لم يجد بها الدهر إلا قليلاً، ويشهد التاريخ أن شعوب الحضارات اليمنية القديمة كانت من أسبق الأمم إلى بناء السدود وحصر المياه والانتفاع بها في المسقى، ومن البداهة أن اقامة هذه المنجزات الحضارية لا تكون إلا بفكر راق ولا تنتج إلا بمعرفة علوم هندسية وعلوم عمران ومعارف غزيرة بشئون الحياة، وما قام السنيون سد مارب – وهو حائط ضخم به منافذ يتسرب منها الماء إلى الجنتين عن يمين وشمال حتى بلغوا في معرفة علوم العمران مبلغاً عظيماً تجاوزا فيه غيرهم.

والظاهر أن هذه العلوم والمعارف استعملها أهل سبا في غير الحق، بل فيما فيه مسخط الله في كثير من بحالات الحياة، فكانت أسبابا خربت ديارهم وأذهبت حضارتهم وقوتهم، وذلك

في قوله تعالى : " ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾[١٣] " وقصة سيل العرم قصة طريقة طويلة وعريضة، دخلتها أقلام شتى وليس هنا محال الخوض في تفاصيلها، وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ۖ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾[١٤]: يعني أن عمرانهم لم يكن محدوداً، وإنما كان مفصلاً فالمسافر لا يكاد يخرج من مدينة حتى تبدو له أعلام الأخرى وهذا هو معنى الظهور في الآية.

وفي قوله تعالى: ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ يرشدنا إلى سعة العمران وامتداده مسافات الليالي والأيام، وأن الأمن قد مد ظلاله ورواقه على هذا العمران حيث لا يتم التحضر إلا في ظل الأمن والاستقرار، أما في قوله تعالى: ﴿فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا﴾ فالتعبير على سبيل المجاز والمعنى أن اعمالهم وعقيدتهم ومواقفهم هي التي طلبت جزاءهم اللازم لهم وهو من جنس ما فعلوه والمباعدة هي كناية عن محو العمران وخراب القوى المادية الظاهرة وفي هذا ما يشبه الدعاء بلسان الحال لا بلسان القول، وبعد العمران المتلاحم الذي يرتاح فيه المسافر ويأنس في نعيمه السائح، حل بالقوم الخراب الموحش والدمار المخيف الذي صنعه الظلم والإعراض، وهكذا بدل القوم النعم والخيرات بالنقم والمضرات وذلك جزاء الظالمين وعاقبة المعرضين سنة قائمة لا تتبدل ولا تتحول، ولقد فات هؤلاء كغيرهم من ذوي الحضارات الهالكة أن يحصنوا هذه المدنيات الزاخرة والحضارات الزاهية بالإيمان وحبل الاعتصام بالله. ويزينوها بالفضيلة ويزرع فيها روح الاستقامة والعدل للاستمرارية ومن سنة الله أن كل حضارة أو مدنية لا تحصن بهذه العوامل والقيم الكريمة، فمصيرها الدمار والخراب العاجل وعاقبة أهلها العذاب والهلاك.

ولقد جعل الله قرى أهلكت بسبب الظلم وهو الكفر بالنعم مثلا في التعذيب وحلول بأس الله، فقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [١٥].

ومعنى "وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة..." أي جعل الله القرية التي هذا حالها، مثلا لكل قوم في كل زمان ومكان أنعم الله عليهم بنعمه التي لا تعد ولا تحصى كنعمة الأمن، والاطمئنان وكثرة الأموال ورغد الرزق والعيش، فكفروا وتولوا عن الحق، فأنزل الله عليهم نقمه، ويدخل في هذا المثل أو التحذير أهل مكة وهم أول المخاطبين بالقرآن ولأن قريتهم مكة كانت آمنة مطمئنة لا يزعجها خوف ولا يقلقها قلة عيش، وهذه القرية التي أذاقها الله لباس الجوع والخوف أي زرع القلق والخوف ونزع منها الأمن والاستقرار وأبدلها السيئة بالحسنة بسبب ما

صنع أهلها من الاعتقاد بالباطل والعمل الفاسد، هذه القرية لم تحدد في القرآن بالاسم أو حتى بالإشارة(١٦).

وقال تعالى: ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾ (١٧)، وقوله تعالى: ﴿**وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾ (١٨).

تعد العدالة أساسا مهمة لنهضة الأمة وضرورة اجتماعية مهمة في كل زمن، والبحث في العدالة يعني البحث في اعقد معضلة يجابهها الإنسان في الوقت الحاضر، فقيام الثورات والانتفاضات والحروب يرجع في أسبابه الحقيقية إلى فقدان التوازن في مستويات المعيشة بين الناس واستبداد بعضهم على بعض وانتشار الظلم فيما بينهم. والظلم عكس الاستقامة وفي الشريعة عدم الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب عما هو محظور، ويقصد بالظلم أيضا الميل إلى الباطل (١٩)، وقد حذر الله تعالى من الظلم وامر بالعدل بين الناس (٢٠) قال تعالى: ﴿**وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ**﴾ »، وقال تعالى: ﴿**وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ**﴾(٢١)، وقوله تعالى: ﴿**وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا**﴾(٢٢)، وقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ۝**﴾(٢٣)، "فالظلم ليس سبباً من أسباب الهزيمة والسقوط فحسب، بل "هو سبب من أسباب هلاك الأمم وسقوط الدول وانهيار الحضارات وتغير الأحوال"(٢٤).

فبعد أن كان الفعل الحضاري يعتمد على الروح الجماعية وعلى تشارك فئات الأمة المتنوعة في القيم والمصالح، والواجبات والحقوق، وهذا ما كان يحركهم معا قوة واحدة، تبدأ القيم بالانسحاب، وتتضخم المكاسب، فتتعاظم الأنانية وتروج الأخلاق النفعية، وتجد كل ما يمدها بالقدرة على تحقيق غاياتها، فيختل التوازن لصالح من يملك القوة والسلطة، أيا كان مصدرهما.. كل هذا يحرض مظاهر من الانحراف في التكوين الاجتماعي، تتجلى في تفشي صور الظلم متنوعة تسرق فيها الجهود، وتصادر الحقوق، وتعطل المصالح، وهي مع ذلك مظاهر فردية واستثنائية، لأن المصلحة في تلك المرحلة تظل ممسكة بعصا التوازن الذي يفرض التكامل على جميع الأطراف، ويهودهم إلى ميثاق مشترك يذعنون إليه لتحقيق مصالحهم المتبادلة، ومع تفاقم أعراض المدنية تتكرس دواعي الظلم، ويتحول إلى ظاهرة عامة لا تتوقف عند حدود السلطة الحاكمة بل تعم مناحي الحياة كلها، أفرادا ومؤسسات، وهنا تكمن الخطورة، لأنه إيعاز بأن الأمة تموت من الداخل! ليس الظلم إلا الضعف يتستر بالجبروت ويتسلح به، وحين تدخل الحضارة طور المدنية يتسرب الكسل والتواكل، ويستشعر صاحب القوة والقدرة ضعفه، فيحاول أن يحجبه

بسياج من الانتهازية وسرقة جهود الآخرين، والحد من نجاحهم خشية منافستهم، ويتفشى الظلم ويروج بالقدر الذي تتعطل فيه الدوافع وتقل الفرص[٢٥].

وقد عني الإسلام عناية فائقة بتقرير قاعدة العدالة من قواعد الحكم في الإسلام بوصفها الدعامة الرئيسة في قيام الدولة العربية الإسلامية والحكم الإسلامي فلا وجود للإسلام فعلا في مجتمع يسوده الظلم ولا يعرف العدل [٢٦]. وأمر الرسول ((ﷺ)) بإقامة العدل بين الناس، قال (( )) " عدل يوم كعبادة أربعين سنة "[٢٧]، وقد أعد الله للذين يحكمون بالعدل بين الناس منزلة رفيعة يوم القيامة حيث يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله، قال رسول الله ((ﷺ)): سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله [٢٨]، وذكر أول هؤلاء السبعة الإمام العادل. وبعد ترك العدل ظلماً في نظر الإسلام والله سبحانه وتعالى حرم الظلم وذم أهله وتوعدهم بالعذاب الشديد يوم القيامة والهلاك في الدنيا، قال تعالى: ﴿**احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ**﴾ [٢٩]، وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ**﴾ [٣٠]، وقال (ص)" يا عبادي الي حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما".

وإذن فإن الله يكره الظلم إذ يشيع في أي مجتمع من المجتمعات، وإن كان الظالمون فيها مسلمين. وذلك أن الله جل جلاله لا يرضى أن يكون إسلام المسلمين من عباده شفيعاً لهم في ارتكاب الظلم واستلاب حقوق الآخرين. وبعبارة أخرى: تعالى ربنا وتنزه عن ان يرشوه مسلم بإسلامه في مقابل أن يصفح عما قد يرتكبه من المظالم في حق الآخرين، وإذا كان من سنة الله في عباده أن يجزي المجتمعات التي يشيع فيها العدل، في دار الدنيا، ولو كان أهلها كافرين، فإن هذه السنة ذاتها تقضي أن يعاقب المجتمعات التي يشيع فيها الظلم، في دار الدنيا، ولو كان أهلها مسلمين، فلا يقولن قائل إذن: ما لربنا يكرم المجتمعات الغربية، وهي لا تقيم لدينه وزناً، ولا تتقيد من شرعه بحلال ولا حرام، يعبد أمامها مسالك التقدم ويوفر لها القوة ويحقق لها مصادر الثروة والغنى، في حين أنه يعرض مجتمعاتنا الإسلامية للفقر والضنك ويزجها في أودية التخلف، وهي تعلن إسلامها وتعتز بانتمائها إلى تاريخها الإسلامي؟..، أجل، لا يقولن قائل هذا، فإن ما تتباهي به الدول العربية من انتمائها التقليدي إلى الإسلام، لم يحجز أكثرها من ممارسة الظلم أشكالاً وألواناً في حق شعوبها، يدخل في ذلك الظلم الاقتصادي والاجتماعي والتفريق الطائفي والانتقاص من الحريات الشخصية.. وإن ما تعلنه الدول الغربية من تحررها من سلطان الأديان، وما يصر عليه كثير منها من علمانية الدستور والمنهج، لم يمنعها من ممارسة أقصى ما تستطيعه من العدالة في التعامل مع شعوبها، ينبئ عن ذلك ضماناتها الاجتماعية الجادة، على

كل المستويات، ويدل على ذلك ما تتمتع به قوانينها من هالة القداسة التي تجعل الفئات والطبقات على تفاوتها أمام سلطانها وهيمنتها سواء [٣١].

اذن الظلم ما زال حقيقة واقعة في بلاد المسلمين وان الشعور بالظلم يجعل الفرد لا يتحمس في الدفاع عن أمته التي لم تطعمه من جوع ولم تؤمنه من خوف، اذ ان من اثار الفساد وغياب العدل بالحضارة دب الوهن والضعف شيئًا فشيئًا، ثم تتهاوى وتسقط، وهو ما حصل فعلًا لمجتمعات عربية وأجنبية وإسلامية في الفترات السابقة والقرون الماضية وخاصة الدولة الأموية والعباسية والأندلسية والعثمانية وغيرها– عندما استفحل فيها الفساد والاستبداد، والتفرقة والنزاعات الداخلية، والاستغلال السيئ للنعمة، وسلب خيرات المجتمعات الأخرى وإذلالها، والإسلام يقدم الحل الأمثل في تحقيق العدالة من خلال إقامة العدالة الاجتماعية وإزالة الفوارق بين الأفراد والطبقات من اجل النهوض بالأمة العربية، وإذا شعر الناس بإقامة العدل في مجتمعهم وسيادته في حياتهم تستقر نفوسهم وتطمئن قلوبهم وتهدأ أحوالهم ويزدهر مجتمعهم ويعمهم الخير والأمن والأمان والسلامة والسلام [٣٢].

المبحث الثاني

الترف والمترفين

قال الله في كتابه الحكيم: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**﴾[٣٣]، ٦٢٩١/١ . العباسي: عن حمران، عن أبي عليه السلام، في قوله: «وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا متوفيها» مشددة منصوبة: تفسيرها: كثرنا . وقال . لا قرآنها مخففة، ٦٢٩٢/٢ _عن حمران، عن أبي جعفر (عليه السلام)، في قوله تعالى: (وإذا أردنا أن تهلك قرية أمرنا مترفيها)، قال: «تفسرها أمرنا أكابرها»، ١٢٩٣ / ٣. علي بن إبراهيم: في قوله تعالى (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ؟ أي كثرنا جبابرتها، ثم قال: قوله: (من كان يريد العاجلة)– يعني أموال الدنيا –عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد . في الدنيا . ثم جعلنا له جهنم . في الآخرة – يصلها مذموماً مدحورا» يعني تلقى في النار.

قال تعالى: ﴿**قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ**﴾ [٣٤]، وقال تعالى: ﴿**قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾[٣٥]، وقال: ﴿**وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ**﴾[٣٦]

ومن أسباب هلاك الأمم :انغماسها في الترف، ونسيانها المهمة الأساسية للمال، وعدم معرفتها: أن النعيم لا يدرك، بالنعيم وأن من طلب الراحة فاتته الراحة، قال تعالى: ﴿**فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ**

وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ۝ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [٣٧].

وقفنا عند الوفرة عندما تكون علة من علل انهيار الحضارة، وأداة تخلق منافسين للفكرة الحضارية. وتعالج هنا دورها في تشويه خصائص الأمة النفسية؛ تبطل دافعيتها، وتحولها إلى أمة خاملة. يتفق معظم المشتغلين في فلسفة الحضارة على مقولة ابن خلدون بأن "من عوائق الملك حصول الترف وانغماس القبيل في النعيم"[٣٨]، لان هذا الانغماس يشوه الخصائص النفسية لرجل الحضارة الفعال القادر على توجيه التاريخ، وقد لاحظ ابن خلدون أن أظهر الفوارق بين أهل الحضر وأهل البادية أن "البدو هم المقتصرون على الضروري في أحوالهم العاجزون عما فوقه وأن الحضر المعتنون بحاجات الترف والكمال في أحوالهم وعوائدهم..."[٣٩]، والعجز غير الإرادي عن العناية بحاجات الترف بسبب من الفقد أو القلة القسريين، يلازمه قدرة صافية عالية على تفعيل الإرادة والتحكم الذاتي، وتلك هي المهارات اللازمة لتوجيه طاقات الإنسان الداخلية والخارجية نحو الهدف، والتي تحتل أو تذوي مع الانخراط في مجتمع الوفرة، بعد دراسة مستفيضة يؤكد توينبي أن السهولة عدو الحضارة[٤٠]، بل إن "الحضارة تقوم على الزهد أو التعفف عن اشباع الغرائز، وإن وجودها مشروط باللاإشباع، بالكبت الإرادي أو اللاإرادي للمتطلبات الغريزية القوية"، هذا ما يخبرنا به فرويد[٤١]، وهو الحقيقة القوية التي تثبتها أخبار التاريخ، أما مجتمع الوفرة فهو، على العكس، يقدم كل ما يعين على الإشباع النهم، وإطلاق الغرائز.. ويشوه معالم الفطرة فتعتاد الذات ارتخاء الإرادة، وتتخامد طاقة الاندفاع، فتختلق الأعذار، وتتواكل على المعيقات والمثبطات، وتتذرع بها إن عهد الوفرة غاية للحضارة ومصير لها في أن، وهي الذروة التي تحقق عندها آمالها، وتستنفد غاياتها، لتبدأ في شق طريقها إلى الانحدار! في مرحلة المدنية تعيش الحضارة ازدهارا غير مسبوق يصل حد الوفرة والترف في كل شيء، وتجتهد الطاقات لتحقيق أسمى الطموحات، فتشبع الآمال، ويشيع الرضا.. ولكن الرضا[٤٢] يتحول إلى قناعة وسأم، والسام يغري بالتهالك على اللذات، والإمعان في اقتحام المحظورات، وتتكفل القناعة بتبرير التكاسل، وإيثار الراحة، وقتل الطموح، وتبديد القلق المحفز على النشاط والفاعلية.. وما بين الإفراط والتفريط تضيع الحضارة، حيث تجتهد الوفرة للتغلب على التحديات الطبيعية، وتغرق الأمة بما يزيد عن حاجاتها الضرورية، وتفتح لها أبوابا مشرعة إلى الراحة واللذة، مع قدرة عالية على السيطرة على العالم الواقعي والقوة على إدارته، وباجتماع القوة والوفرة في أمة ما زالت مشبعة بطاقة واندفاع على وشك النفاد، تحاول الأمة أن تستغل الفائض من طاقتها باختلاق تحدياتها الخاصة أو المفتعلة وتوليدها، للحفاظ على مستوى من

التوثر يغري بالطموح والإنجاز، وذلك عبر كثير من النشاطات التي تفيض عن الضروري وتؤول إلى الحاجي أو الكمالي، حيث تكون الضروريات في حالة إشباع قصوى. ويشيع هذا النمط من التحديات في كل شيء في العلوم والفنون، والعلاقات الاجتماعية والتقاليد والأعراف والشعائر، والمتعة والأشياء.. ما يحولها، رويدا... رويدا، إلى شكلانية تتعلق بالزينة والزخرف على حساب الجوهر والمضمون، ويضعف أساسها الوظيفي، ليتحافت، من ثم، أثرها في عالم الواقع وصلتها بالحياة، فتتحجر في أصنام تفقد مع الاستهلاك رونقها.. صحيح أن هذه التحديات المفتعلة تفجر الإبداع، وتحفز التنافس، وأن الولع النهم في شتى المجالات يدعم الحركة الاقتصادية، وجريان الثروة.. إلا أن ذلك كله يكرس آثار الترف السلبية في الخصائص النفسية للأمة، ويغرقها في البلادة والكسل، ويمتص طاقتها الفائضة فطواحين وهمية كان الأجدر أن توجه إلى التحديات الذاتية التي تتعاظم في الداخل انعكاسا وأثرا لحالة الترف المتعاظمة [٤٣].

وليس للعبث وتحصيل الحاصل يعوذ الله العباد بالشدة والنقص في الأموال والأنفس. كلا وهو سبحانه في غنى عن العالمين لا تنفعه طاعة الطالعين ولا تضره معصية العاصين، وإنما يأخذ الله المكذبين برسله بالبأساء والضراء لصالحهم ولحكمة وهي لكي يتضرعو إلى الله ويعودوا عن غيهم وضلالهم إلى الله، ومن طبيعة الشدة توليد القوة في النفوس وتقوية روح المقاومة لدى الأمم والشعوب، ولذلك اقتضت مشيئة الله أن يأخذ أهل كل قرية يرسل إليها رسولا أو نبيا فتكذبه بالبأساء في أنفسهم وأرواحهم والضراء في أبدانهم وأرزاقهم، وذلك استحياء للقلوب واعتصار للأمراض منها، والشدائد والآلام خير مهذب للأرواح وخير مربى للنفوس في معادن الأحرار، وخير مفجر لينابيع الخير الكامنة "ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة" فإذا الرخاء بدل الشدة، والعافية مكان الضر، والأمن مكان الخوف، حتى إذا الحياة نعماء، وخير على خير، وهو ابتلاء واختبار، وحتى إذا كان هذا كله رأبت القوم يأتون البيوت من نوافذها ويفهمون الحقيقة معكوسة وخاطئة، ويقولون قد مس هذا الضراء والسراء آباءنا، وما هي إلا الحياة الدنيا وتقلباتها، والحياة تسير سيرة عادية وراحوا يتلذذون في اليسر ويتذمرون في العسر، ولم يفطنوا إلى سنن الله في الحياة وحسبوا الوجود يسير عفويا، والتاريخ يمضى جزافاً ولا قصد مرسوم له ولا أجل معلوم يحدده وقد أخذوا دورهم في التاريخ وحفلهم من الحياة بالضراء والسراء كآبائهم وغيرهم من السابقين وكفى أوعندلذ وفي ساعة نشوة النعمة والغفلة السادرة، تأتى سنة الله الجارية "فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون" جزاء بما اغنزوا وبعدوا عن الله وعطلوا الحواس عن التدبر والتأمل والاعتبار، وأطلقوا لشهواتهم العنان فما وعوا وماعادوا يتحرجون من منكر ومعصية، ولا يستلذون وطاعة فتساوى عندهم القبح والجمال، والحلال والحرام، والطيب والخبيث، كما نعاهد

اليوم هذا في الأمم الضالة والمجتمعات المنحرفة الغاوية، وسنن الله تمضي والتاريخ يتحرك ويجرى دون توقف ولا رجوع)، وكان الأحدر بالأمم الضالة والمجتمعات الظالمة أن تتضرع إلى الله وتثوب إليه بمجيئ بأسه وظهور الآيات والنذر في الأنفس والآفاق ولكن العمى عن الحق وقساوة القلوب هي طابع هذه الأمم وسمتها عبر العصور والدهور، وتبقى سادرة في غيها حتى يأتيها أمر الله

قال تعالى: ﴿**وما أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ۝ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ آبَاءنَا الضَّرَّاء وَالسَّرَّاء فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ۝ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[٤٤].

والاستفهام في الآية للتذكير والتعجب من أمر ليس من شأنه أن لا يقع والمعنى أغر أهل القرى ما كانوا فيه من ترف حين كذبوا الرسل واتبعوا غير منهجهم ووجود النعم وكثرتها ليس دليلاً على دوامها وكم من نعمة غزيرة ومدنيات عاتية وحضارات زاهية انهمت وزالت بسبب كفر أهلها، بعد أن ظنوا خلودها وبقاءها لا لشيء إلا لكثرة عدتها وعدد أبنائها، وكثير من الأمم من يجهل التدبير الخفي لله القائم على سنن في الخلق وقوانين في الوجود، لا تختلف ولا تحيد، اغتر الغافلون عنها بظواهر القوة المادية كالغنى والسلطان والترف وفي كل يوم يذل الله أقواما أعزاء أقوياء ويعز أناسا ضعفاء كانوا أذلاء عند أهل الجاه والمال، ولكن الجهل والغفلة عن سنن الله في الحياة ينسى الناس كل شيء فيغدوا يعملون وفق خطط حائرة ويقيمون الحقائق بتقديرات ومقاييس، فبعد أن قرر الله تعالى خلال الآيات السابقة مصير تلك القوى المترفة الظالمة وبين سننه الجارية عبر القرون بما يشهد به تاريخ تلك الحضارات السادرة والمجتمعات الثانوية التي غدت بقاياها مناظر يرتعش منها الوجدان وتتحصر عليها القلوب، وآثار تستخلص منها العبر والعظات، وتقرأ فيها سنن الله في الظالمين المكذبين الذين لم يؤمنوا ويتقوا، بل كذبوا، وأشركوا وغرهم ما كانوا فيه من ترف، وبعد ذلك أنذر للأمم اللاحقة[٤٥].

المبحث الثالث

الافساد في الارض

ويمكن أن نشير منه إلى ما يلي:

أ- غياب التطبيق الصحيح للإسلام كعقيدة وكمنهج للحياة

قال الله – عزَّ وجلَّ – عن هذا (الانهيار الفكري): ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ۝ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى**﴾[٤٦]. قال تبارك وتعالى: ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [٤٧]، وقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ...**﴾ [٤٨]، وقوله تعالى: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾[٤٩]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا**﴾[٥٠]، وقوله تعالى ﴿**مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ**﴾[٥١]، وعن النبي أنه كان إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصة نفسه ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا بسم الله وفي سبيل الله وقاتلوا من كفر بالله اغزوا ولاتعتدوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا، وقال صلى الله عليه واله وسلم: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»، اذ قال تبارك وتعالى في كتابه المجيد: ﴿**وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ**﴾[٥٢]، كما ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾[٥٣]. وقوله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[٥٤]، **وقوله تعالى:** ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣)﴾[٥٥].

وعن الإمام الباقر (عليه السلام): مر النبي ((صلى الله عليه وآله وسلم)) في سوق المدينة بطعام فقال لصاحبه: ما أرى طعامك إلا طيبا وسأله عن سعره، فأوحى الله عز وجل إليه أن يدس يديه في الطعام ففعل فأخرج طعاما رديئاً، فقال لصاحبه: ما أراك إلا وقد جمعت خيانة وغشا للمسلمين. وعنه ((صلى الله عليه وآله وسلم)) لرجل يبيع طعاما، وقد خلط جيدا بقبيح: حملك على ما صنعت؟ فقال: أردت أن ينفق، فقال له النبي ((صلى الله عليه وآله وسلم)): ميز كل واحد منهما على حدة، ليس في ديننا غش. وعنه صلى الله عليه وآله: من غش مسلما في شراء أو بيع فليس منا، ويحشر يوم القيامة مع اليهود، لأنهم أغش الخلق للمسلمين. وعن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): شر الناس من يغش الناس. وعنه(عليه السلام): "إن أعظم الخيانة خيانة الأمة"، "وأفظع الغش غش الأئمة".

وعنه(عليه السلام): "الغش من أخلاق اللئام". وعن الامام الصادق (عليه السلام): "ليس منا من غشنا". وعن الإمام الكاظم (عليه السلام): "ملعون من غش مسلما أو ماكره أو غره".

ويتم توظيف الافساد في الارض ببناء الحضارة من خلال حماية المدنيين وغير المقاتلين وتحريم القتل وحضر استخدام الاسلحة العشوائية، حضر التمثيل بالجثث، معاملة أسرى الحرب وغيرها.... تؤدي الى استقرار الأمن في المجتمع وبالتالي تعود انعكاساته الايجابية على الحضارة[٥٦].

قال ابن كثير في قوله – تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي**﴾[٥٧]؛ "أي: خالف أمري، وما أنزلتُه على رسولي، أعرض عنه، وتناساه، وأخذ من غير هداه، كما في قوله تعالى: ﴿**فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا**﴾[٥٨]؛ أي: في الدنيا، فلا طمأنينةَ له، ولا انشراحَ لصدره، بل صدرُه ضيِّقٌ حَرَجٌ لضلاله، وإنْ تنعَّم ظاهرُه، ولَبِس ما شاء وأكل ما شاء، وسكن حيثُ شاء، فإن قلبَه، ما لم يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد، فهذا من ضنك المعيشة"[٥٩].

وهذه آية يُستدلُّ بها على أن (الظلام العقدي) سببٌ داخليٌّ في انحطاط الأمم وفسادها في الارض؛ حيث يقول – تعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾[٦٠].

وبيَّن القرآن الكريم أن الافساد في الارض قد يكون سببُه تقليدَ الأعمى، واتِّباعَ الطواغيت من البشر أو المذاهب الفكرية المحرَّفة عن المنهج الصحيح: ﴿**وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ۝ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا**﴾[٦١]، **وقال تعالى:** ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾[٦٢]، وقوله تعالى ﴿**هُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ**﴾[٦٣].

قال الإمام الطبري: "يقول الله تعالى ذكْرُه: وقال الكافرون يوم القيامة في جهنم: ربنا إنَّا أطعْنا أئمَّتَنا في الضلالة، وكبراءَنا في الشرك كما في قوله تعالى: ﴿**فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا**﴾[٦٤] يقول: فأزالونا عن محجة الحق، وطريق الهدى والإيمان بك، والإقرار بوحدانيتك وإخلاص طاعتك في الدنيا"، ويدخل ضمن ذلك التبعية و(الإمَّعَة) للدول الأخرى، سياسيًّا، واقتصاديًّا، وثقافيًّا، وسلوكيًّا، وأخلاقيًّا،... وهو ما يؤدي إلى فرض السيطرة على الأمة الإسلامية واستغلالها، حيث إن العقل والتفكير نعمة يجب على من أوتيها أن يشكر الله عليها شكراً عملياً، و ان فساده يؤدي الى تكدير صفوه ويطمس نوره ويفسد صلاحه، إنه أمانة عظيمة يجب حفظها والعناية بها وحراستها من الشهوات والشبهات لكي لا تنعكس سلبا على المجتمع وبالتالي الحضارة.

ويقول – سبحانه وتعالى: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ**﴾[٦٥]، الآية بظاهر لفظها عامة لا تختص بزمان دون زمان أو بمكان أو بواقعة خاصة، فالمراد بالبر والبحر معناهما المعروف ويستوعبان سطح الكرة الأرضية، والمراد بالفساد الظاهر المصائب والبلايا الظاهرة فيها الشاملة لمنطقة من مناطق الأرض من الزلازل وقطع الأمطار والسنين والأمراض السارية والحروب والغارات وارتفاع الأمن وبالجملة كل ما يفسد النظام الصالح الجاري في العالم الأرضي سواء كان مستندا إلى اختيار بعض الناس أو غير مستند اليه، فكل ذلك فساد ظاهر في البر أو البحر مخل بطيب العيش الانساني، وقوله : (بما كسبت أيدي الناس)، أي بسبب أعمالهم التي يعملونها من شرك أو، وأيضا في مباحث النبوة من الجزء الثاني من الكتاب أن بين أعمال الناس والحوادث الكونية رابطة مستقيمة بتأثر إحداهما من صلاح الاخرى وفسادها، وقوله : (ليذيقهم بعض الذي عملوا)، اللام للغاية، أي ظهر ما ظهر لأجل أن يذيقهم الله وبال بعض أعمالهم السيئة بل ليذيقهم نفس ما عملوا وقد ظهر في صورة الوبال وإنما كان بعض ما عملوا لأن الله سبحانه برحمته يعفو عن بعض، والآية ناظرة إلى الوبال الدنيوي وإذاقة بأمضه لأكله من غير نظر إلى وبال الأعمال الاخروي فما قيل : إن المراد إذاقة الوبال الدنيوي وتأخير الوبال الاخروي إلى يوم القيامة لا دليل عليه ولعله جعل تقدير الكلام، ليذيقهم بعض جزاء ما عملوا مع أن التقدير و(ليذيقهم جزاء بعض ما عملوا)، لأن الذي يحوجنا إلى تقدير المضاف . لو أحوجنا – هو أن الراجع اليهم ثانيا في صورة الفساد هو جزاء أعمالهم لا نفس أعمالهم فالذي أذيقوا هو جزاء بعض ما عملوا لا بعض جزاء ما عملوا، وقوله : (لعلهم يرجعون)، أي يذيقهم ما يذيقهم رجاء أن يرجعوا من شرهم ومعاصيهم إلى التوحيد والطاعة.

فالفساد لا يظهر تلقائيًّا، واستعلاؤه لا يتمُّ عبثًا، ولا يقع بالصدفة؛ وحاشا لله أن يُقحِم الناسَ في ويلات الفساد عبطًا، إنما هو سنة الله؛ ﴿**لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا**﴾ من الشر والفساد، ويتألَّمون لما يُصيبُهم منه، ويكتوون بناره: ﴿**لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ إلى الله، وإلى العمل الصالح، وإلى المنهج القويم، ويُحذر – تعالى – الناسَ نهاية هذه الوقفة من أن يُصيبهم ما أصاب مشركي الأمم الغابرة، وأمرهم بالسير في الأرض والنظر ﴿**كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ**﴾، وفي آية أخرى يُعيد القرآن الكريم المعنى نفسَه بصيغة ومعطيات جديدة؛ فيقول – تعالى: ﴿**الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ**

كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾(٦٦).

ويعرض القرآن الكريم قصصًا تحوي جملةً من تجارب الأمم الغابرة التي خاضتْ غمارَ الفساد الأخلاقيِّ وما اعتراه من فتن، ثم انتهى بها المصيرُ الحتميُّ إلى الإحباط والخسران والبوار، فهؤلاء عاد (قوم هود) أصابَهم الريحُ العقيم؛ لأنهم: **﴿جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾**(٦٧).

وثمود (قوم صالح) أرسل الله عليهم الصيحةَ؛ بسبب عصيانهم أمرَ نبيِّهم وعقرِهم الناقةَ؛ **﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾**(٦٨)، وقال تعالى أيضًا: **﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾**(٦٩).

وقوم نوح جازاهم الله على: **﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾**(٧٠)، وسورة نوح كلُّها تقصُّ قصةَ نوح – عليه السلام – مع قومه، وتصف شوطًا من أشواط المعركة الخالدة بين الخير والشر، والهدى والضلال، والحق والباطل، "هذه التجربة تكشف عن صورة من صور البشرية العنيدة الضالة، الذاهبة وراء القيادات المضلِّلة، المستكبرة عن الحق، المعرضة عن دلائل الهدى وموحيات الإيمان، المعروضة أمامها في الأنفس والآفاق، المرقومة في كتاب الكون المفتوح، وكتاب النفس المكنون"(٧١).

وأما مدين (قوم نبي الله شعيب) فكانوا يبخسون الناسَ أشياءَهم، وينقضون الميزانَ والمِكْيال، وأَبَوا دعوةَ شعيب – عليه السلام – فحقَّ عليهم عذابُ الله؛ قال – عزَّ وجلَّ: **﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾** (٧٢).

وكانت عاقبة فرعونَ وأتباعِه الغرقَ؛ لانغماسهم في براثين الكفر والشهوات؛ قال تعالى: **﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾** (٧٣).

ويُعقِّب القرآن الكريم بعد كلِّ قصة بالعبرة والموعظة التي يجب أخذُها من هذه التجارب، وهذه العبرة هي السقوط في شراك الهلاك الشامل والانحطاط الكامل؛ يقول – عزَّ وجلَّ: **﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ۝ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ۝ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾**(٧٤).

ويستجر حديث الفساد إلى الذهن ذلك الاعتقاد بأنه خاص بالمستويين السياسي والقضائي، ولكن الواقع أن المؤسسة السياسية والإدارية تعطي مؤشرات على الفساد قبل غيرها من المؤسسات. وظهور الفساد في المؤسسة القضائية هو دليل على استشراء الداء في المجتمع

ذاته، وانحراف القيم الموجهة له في مستوياته كلها؛ الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية، بل الإبداعية أيضا.. ومع أن الفسادين؛ السياسي والقضائي، أظهر في وعي الناس، لأنهما الملاذان اللذان يتوقعون منهما النصرة والأمن، ولأن أثرهما مادي وقاهر أكثر من غيرهما، فإن الفساد النوعي العميق في المستوى الأخلاقي أكثر هدما لبنية الحضارة، ولتماسك الأمة الداخلي، بما أنه يعطل دافعيتها الذاتية، وينحرف بأخلاقياتها، ويضعف النازع الجماعي فيها، ويفقدها الثقة بجدوى الجهد، ويقتل روح الإبداع فيها، وكل أصناف الفساد والظلم تغرق الأمة في السلبية، وتضخم المثبطات في عيونها، وتمدها بمبررات تتعلق بها في الاعتذار عن استسلامها للواقع، وعدم مقاومة تيار الهدم الجارف، والعادة أن ترد الأمة المنهارة أسباب ضعفها، وواقع الظلم الذي يحيق بها، إلى القيادات السياسية والإدارية بوصفها صاحبة القرار، وفي موقع المسؤولية!.

أن الحضارة تبقى وتعيش وتستمر ما دامت شبكة العلاقات الاجتماعية سليمة قوية، فإذا فسدت تدهورت الحضارة وسقطت [٧٥].

قال تعالى:﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[٧٦]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[٧٧]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ۝ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ**﴾[٧٨].

وللمؤرخ توينبي فكرة عن انحلال الحضارة، فبعد رفضه الاجتياح العسكري[٧٩]، يرى: أن انحلال الحضارة يزامنهُ فساد كبير، يدب في أرواح الناس، وتغير جذري يطرأ على سلوكهم ومشاعرهم وحياتهم كلها، فيحل مكان الصفات الجيدة، والقوى المبدعة، التي كانوا يتحلون بها، في دور النمو لحضارتهم، يحل مكانها (ثنائية) من النزعات والمواقف العقيمة المتناقضة، وهنا ينكشف ويتعرى الفساد الروحي، كاشفًا عن فوضوية، تعم الأخلاق والعادات، وانحطاط يشمل الآداب والفنون، ثم قد تسعى (الأقلية المسيطرة) إلى فرض فلسفة خاصة، أو دين جديد، مستعملة في ذلك القوة، ولكن دون جدوى ولا فائدة.. تصور جيد، ومن يطبق هذه النظرية على الحضارة الإسلامية في الأندلس، أو العباسية في المشرق، وحتى العثمانية، فسيجد الكثير من الشواهد على صحة هذه النظرية، اذ ان كل متابع لحركة الحضارة يراها كصاعد الجبل، يرتقي

ويتسلق، ويرى (اشبنجلر) ان سقوط الحضارة ان هناك مسائل حتمية تسقط عندها الحضارة وهي (٨٠):

١-القول بأن الكون صائر إلى الشيخوخة والزوال، ذلك لا يكون في القريب العاجل، من هنا فتأثيره على سقوط الحضارة بعيد.

٢-يرفض تشبيه الحضارة بالكائن الحي، فالحضارة تولد، ثم تنمو، ثم تشيخ وتموت، هذا لا يسلّم به، ذلك أن المجتمعات ليست كائنات عضوية، والمجتمع يمكن أن يجدد شبابه، أما الإنسان فلا.

٣-يرفض فكرة أن الحضارة لها دورة كاملة، كما يقول ابن خلدون، ويرى أن الدولاب الذي يحمل عربة التحضر، يدور على نفسه، وعندها تندفع العربة نحو الغاية الكبرى، في حركة تقدمية مستمرة.

٤-إن العجز عن صد الاعتداءات الخارجية على الحضارة، ليست سببًا لسقوطها، بل دليل على وجود انهيار سابق، كشف العدوان الخارجي عنه، ويمثل لذلك بسقوط الحضارة الرومانية، والأندلسية.

٥-يرى توينبي أن النقص في الميادين العلمية والتقنية، ليس علة في سقوط الحضارة، ولكنه مجرد عرض لا أكثر.

ويعرض توينبي نظريته في انحلال الحضارة بشكل واضح، وأستطيع ابتداءً القول: بأنه أقرب ما يكون للتصور الإسلامي، فهو يرى (أن انحلال الحضارة يزامنهُ ويرافقه فساد يدب في أرواح الناس أولاً، وتغير جذري في سلوكهم، وحتى مشاعرهم، وفي كل جوانب حياتهم، فيقوم مكان الصفات الجيدة والقوى المبدعة، التي كانت تفيض بها نفوسهم –في دور النمو– يحل مكانها (ثنائية) من النزعات والمواقف العقيمة والمتناقضة.. وهنا يتعرى الفساد الروحي، ويكشف عن فوضوية تشمل الأخلاق والعادات، وانحطاط يسود الآداب والفنون، مع محاولات عقيمة للتوفيق بين المذاهب والأديان المختلفة. وهنا قد تسعى الأقلية المسيطرة في بعض الحالات إلى فرض فلسفة بالقوة، أو دينًا مختارًا، لكنها تفشل في كل ذلك)

ويذكر استثناء واحدًا –غير سليم– وهو انتشار الإسلام بين الأمم المغلوبة عن طريق القوة أو التساهل.. لقد دخلنا الأندلس بـ (١٢) ألف مقاتل وخرجنا منها مأزومين مهزومين، وعددنا أكثر من ثلاثة ملايين.. إن خرافة انتشار الإسلام بالقوة خرافة روج لها الاستعمار ورجاله، كي يبرر غزو القارات كلها ونهبها وسلبها، بل واستمرار السلب حتى اليوم، وليسوِّد وجه الإسلام، كما ان الذي نتصوره أن الحضارة الإسلامية قد شاركت فيها أمم وشعوب مسلمة وغير

مسلمة، ولم يمنعها ذلك من السقوط، ولكن يمكننا القول: بأن حضارة اليوم وبفضل النمو الهائل في العلوم والمعارف، صارت قادرة على معالجة ما يواجهها من مشاكل بطرق علمية سليمة ستطيل من عمرها. لكنها بما حققته من صناعات حربية، ومن أسلحة فتاكة، فمتى ما اشتعلت حرب كونية، كالحرب العالمية الأولى أو الثانية، فإن نهاية هذه الحضارة ستقع، وفي مدة قصيرة جدًا، تتناسب مع فتك الأسلحة الجديدة والصواريخ عابرة القارات وغيرها. إن حضارة زودت إنسانها بكل وسائل الدمار الشامل، التي لا تبقي ولا تذر، التي لا ترحم إنسانا ولا حيوانا ولا نباتا، لا تترك فيلا ولا بعوضا. ويصور الله جل وعلا نهاية الحضارة، فيقول: ﴿**حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾.

قامت الحضارة القرآنية على دعائم أساسية، جعلت منها حضارة عالمية متميزة وفريدة من تاريخ البشرية ومن ذلك، إن دوافع القرآن الكريم الحضارية التي تسببت في إخصاب الفكر العربي الإسلامي، فكان نزول القرآن العظيم حدثاً خطيراً في تاريخ العرب بشكل خاص، والأمم بشكل عام، حيث جاء بنظرية كونية سماوية، وكان من أثار القرآن الكريم الفكرية على المجتمع العربي ظهور العلوم القرآنية التي خدمت أغراض القرآن وغاياته، وصورت فلسفته وأثره الحضاري ساهم في تكريس مبادئ الحضارة العالمية، وان لتعاليمه اثر كبير في تغيير المفاهيم والقيم والأخلاق نحو الخير ورفض العصبية القبلية والتوجه نحو الحضارة، والتوجه نحو فكرة الأمة وتأكيد الوحدة بدل التعدد والتجزئة، وجاء بمفهوم القانون وهاجم الاستغلال، والجشع المادي، وأكد على العدالة الإسلامية(٨١).

"إن الإنسان في القرآن الكريم مرسوم على نمط واضح خلال الآيات القرآنية، فهو الذي يريد، ولا يراد به، يفعل وهو مؤمن بما يفعل، يقول وهو واثق مما يقول، لا يضعف أما الشهوة المادية، ولا يجبن أمام تسلط المجتمع ومن ثم فهو جدير بان يتحمل التبعية ويسأل عنها؛ وهو في الذروة من الكمال المقدور له، بما استعد له من التكليف، فهو أكرم الخلائق بهذا الاستعداد المنفرد بين الخلائق، وان الإنسان الحضاري الذي أراده الخالق العزيز ليعمر الأرض، ووضعه في قرآنه العزيز إنسان لا يسأل عما يجهل، ولكنه يسأل مما يعلم، وكما وسعة أن يعلم، فما وسعة من علم فهو محاسب عليه" (٨٢).

أهم النتائج التي توصل اليها الباحث

-إن القرآن الكريم في دعوته إلى الحضارة العالمية، قد اتجه نحو ماضي الإنسانية البعيد، ونحو مستقبلها، كما يعلمها واجبات الحياة وهو يرسم لوحه لمشهد الحضارة المتتابع، ثم يدعونا إلى أن

تتأمله، لنستفيد من عواقبه عظة واعتبارا، والتشريع القانوني أمر في غاية الأهمية الحضارية، وهذا ما تلمسه بان القرآن العظيم جاء بحقيقة جديدة في مجال التشريع كانت مطموسة في الجاهلية وهي ان التشريع والتحليل والتحريم حق الله سبحانه وتعالى، وان التشريعات القرآنية تشمل جوانب الحياة كلها، والتشريع الذي جاء إما تشريع جديد مخالف في اغلب الأحيان لما كان مألوفا في الجاهلية.

– ان المواد التشريعية في القرآن الكريم هي المواد المعروفة في أدب العالم باسم القانون، والأصل في التشريع جاء به القرآن إن الله تعالى هو المشرع الوحيد، ولي أوامره السيطرة العليا على جوانب الحياة كافة.

–ان مشكلة الافساد تبدأ من الأفراد فالأسرة فالمجتمع وتؤدي بالتالي الى انهيار الحضارة، وهي لَبِنة أساسية في بناء الإنسان قبل بناء الحضارة هذا الإنسان منذ ولادته يتشرَّب السلوك مِن محيطه الذي يجب تصفيته وتطهيره، وحمايته من المتلوثات التي تفتك بهذه اللبنة من إعلامٍ يحرص على نشر ثقافة الانحلال، وتغييب الفضيلة ونشر ثقافة مادية أساسها الغاية تبرِّر الوسيلة، وبرامج تعليمية فارغة لا تليق بمن يريد أن يبني حضارة تقود العالم، ومن العديد من المحسوبين على المثقفين وهم بيادق لمنظمات ليس من مصالحها أن تَنهض.

–قائمة الهوامش

(١) السيد قطب، النظر في ظلال القرآن م٣ /١٣٤٤ – ١٣٦١.

(٢) سورة الانعام: الآية٨٢.

(٣) سورة البقرة: الآية٣٥.

(٤) سورة هود: الآيات ١١٧–١١٨.

(٥) ينظر: السيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق.

(٦) سورة هود: الآيات ١٠٠–١٠١–١٠٢.

(٧) ينظر: السيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق، ١٩٣٧،١٩٣٨.

(٨) ينظر: تفسير القاسمي محاسن التأويل من سورة هود الآية: ١٠٣.

(٩) سورة الحج: الآيات٤٥–٤٦.

(١٠) ينظر: تفسير القاسمي، محاسن التأويل من سورة الحج الآيتين ٤٣ – ٤٤.

(١١) ينظر: السيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق/٣٤–٣٩.

(١٢) سورة سبأ: الآية١٩.

(١٣) سورة سبأ: الآية١٦.

(١٤) سورة سبأ: الآية١٨.

[١٥] سورة النحل: الآيتين١١٢-١١٣.

[١٦] ينظر محاسن التأويل من سورة النحل: الآية ١١٣.

[١٧] سورة ال عمران: الآية٥٧.

[١٨] سورة ال عمران: الآية١٤٠.

[١٩] الجرجاني: أبو الحسن علي بن محمد بن علي، التعريفات/ ٧٨ – ٧٩.

[٢٠] ابن كثير: عماد الدين ابو الفداء، تفسير ابن كثير/٢٠٦/٢؛ الرازي: محمد فخر الدين، تفسير ابن كثير/١٤٥/٤.

[٢١] سورة الشورى: الآية ١٥.

[٢٢] سورة الكهف: الآية ٥٩.

[٢٣] سورة الفجر: الآيات (١١-١٢-١٣-١٤).

[٢٤] رشيد كهوس، سقوط الاندلس من منظور السنن الإلهية/١٤٧.

[٢٥] ينظر: د. بتول احمد جندية، على عتبات الحضارة، (بحث في السنن عوامل التخلق والانهيار) /٨٦.

[٢٦] ينظر: أبو فارس: محمد عبد القادر، النظام السياسي في الإسلام/٥٦ – ٥٧.

[٢٧] النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري، شرح النووي على صحيح مسلم/١٨٤/٦، تفسير ابن كثير: المصدر السابق/٢٠٦/٢.

[٢٨] النووي، شرح النووي على صحيح مسلم/١٢٠/٧، ابن حجر: احمد بن علي العسقلاني: فتح الباري في شرح صحيح البخاري/١٤٣/٢ – ١٤٤.

[٢٩] سورة الصافات: الآية ٢٢.

[٣٠] سورة إبراهيم: الآية ٤٢.

[٣١] ينظر: محمد سعيد رمضان البوطي، سنن الله في عباده/٦٤.

[٣٢] ينظر: أبو فارس، النظام السياسي في الإسلام/٥٤.

[٣٣] سورة الاسراء: الآية١٦.

[٣٤] سورة الاعراف: الآية٧٦.

[٣٥] سورة الاعراف: الآية٦٠.

[٣٦] سورة القصص: الآية٥٨.

[٣٧] سورة هود: الآية١١٦.

[٣٨] ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، المقدمة/١٧٥/١.

[٣٩] ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون. المقدمة/١٥٢/١. يستشهد توينبي على هذا المعنى بالقصة الصغيرة التي كتبها تشاريلس كنجزلي الفيكتوري، وتدعى: تاريخ أمة افعل ما تشاء العظيمة المشهورة" تلك الأمة التي وفدت من بلد "العمل الشاق" لأن أفرادها رغبوا في العزف على العود طوال اليوم، فكان جزاؤهم مسخهم قردة. والقصة في الحقيقة تعبير رمزي عن الفساد الناجم عن الراحة، والحرية المقيتة. ينظر: توينبي، أرنولد: مختصر دراسة للتاريخ/١٤٤/١ – ١٤٥.

[٤٠] ينظر: توينبي، أرنولد: مختصر دراسة للتاريخ/١٤٧/١.

[٤١] فرويد، سيجموند: الحب والحرب والحضارة والموت/٦٣.

[٤٢] إن الاكتفاء والرضا بقتلان الطموح، فقد سأل أحدهم دليله من الإسكيمو قائلا: "فيم تفكرة، فكان جوابه: "ليس لدي ما يدعو إلى التفكير لأن لدي مقدارا كافيا من اللحم. ديورانت، ول: قصة الحضارة، ١/١١

[٤٣] يكتشف كولن ولسون في كتابه سقوط الحضارة أن العقبات محفزة للإرادة والحيوية، وكلما زاد كفاح الإنسان زادت حيويته ولهذا استقرت مشكلة الحياة، بالنسبة لي، – مسألة اختيار العقبات لحث إرادتي، ثم أدركت أن حضارتنا أي العربية تسير في الاتجاه المعاكس وأن كل ثقافاتنا وعلومنا متجهة نحو تمكيننا من ممارسة أقل حد ممكن من إرادتنا. لقد تم تسهيل كل شيء. فإذا وجدنا بعد أسبوع من العمل الروتيني في الدوائر والذهاب والإياب في الباصات أننا ما نزال في حاجة إلى أن نفعل شيئا آخر لتصريف طاقات أخرى فينا ففي وسعنا أن نستمتع بالألعاب المختلفة التي تشتمل على العقبات المصطنعة، حيث تمارس الإرادة في التغلب على فريق آخر ي لعبة الكركيت، أو كرة القدم مثلاً، أو تصارع ذلك المخلوق الخيالي الغامض الذي يعد حفل مسابقة الكلمات المتقاطعة في الصحف، وقد اخترعنا أيضا شكلا من أشكال التفكير يتناسب تماما مع هذا التنازل عن الإرادة، وأعني الفلسفة التجريدية التي هي من حيث جوهرها نتاج الحضارة العربية" ولسون، كولن: سقوط الحضارة، من١٠– ١١. ولهذا يكون هذا الطور من الحضارة هو طور العقل، ويتفسح فيه المجال لظهور العلوم النظرية المعقدة، وشيوع الأمراض النفسية المترفة التي تتفاوت – الحضارات المختلفة بين الإحباط واليأس والعرض العصابي المزمن بحسب طبيعة الفكرة الحضارية ومحتواها.

[٤٤] سورة الاعراف: الآيات (٩٤–٩٥–٩٦–٩٧–٩٨–٩٩).

[٤٥] ينظر: محمد هيشور، سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها/١٣٣ – ١٣٤.

[٤٦] سورة طه: الآية ١٢٤ – ١٢٧.

[٤٧] سورة البقرة الآية ١٩٠.

[٤٨] سورة البقرة: الآية ٨٤.

[٤٩] سورة الاعراف: الآية ٥٥.

[٥٠] سورة النساء: الآية٣٠.

[٥١] سورة المائدة: الآية ٣٢.

[٥٢] سورة هود: الآية ٨٤.

[٥٣] سورة هود: الآية٨٥.

[٥٤] سورة النساء: الآية٥٨.

[٥٥] سورة المطففين: الآيات (١–٢–٣).

[٥٦] ينظر: الراوي: بريدة بن الحصيب الأسلمي المحدث: ابن عبد البر، المصدر: التمهيد، الصفحة أو الرقم ٢٣٢/٢٤، خلاصة الدرجة: صحيح.

[٥٧] سورة الأنعام: الآية ٦٨.

[٥٨] سورة طه: الآية ١٢٤.

[٥٩] "تفسير ابن كثير"، ج٣، ص ١٢٠٥.

[٦٠] سورة النحل: الآية ١١٢.

[٦١] سورة الأحزاب: الآية ٦٧ – ٦٨.

[٦٢] سورة الحج: الآية٤٦.

[٦٣] سورة المؤمنون: الآية٧٨.

[٦٤] سورة الأحزاب الآية: ٦٧.

[٦٥] سورة الروم: الآية ٤١ – ٤٢.

[٦٦] سورة التوبة: الآية ٦٩.

[٦٧] سورة هود: الآية ٥٩.

[٦٨] سورة هود: الآية ٦٥.

[٦٩] سورة هود: الآية ٦٧.

[٧٠] سورة نوح الآية ٢٥.

[٧١] ينظر: السيد قطب، في ظلال القرآن الكريم ٣٣٨/٧.

[٧٢] سورة الأعراف: الآية ٩١.

[٧٣] سورة الأنفال: الآية ٥٤.

[٧٤] سورة هود: الآية ١٠٠ – ١٠٢.

[٧٥] بن نبي، مالك، ميلاد مجتمع، ترجمة: عبد الصبور شاهين/٥٤.

[٧٦] سورة البقرة: الآية ٣٠.

[٧٧] سورة البقرة: الآية٦٠.

[٧٨] سورة ص: الآية ٢٧–٢٨.

[٧٩] ينظر: صديقي، عبد الحميد، تفسير التأريخ، ترجمة: كاظم الجوادي/ ١٠٦.

[٨٠] ينظر: خليل، عماد الدين، التفسير الاسلامي للتأريخ، مصدر سابق/٨٢.

[٨١] ينظر: حسن يعقوب الفلاحي، الأصول التاريخية في الفكر العربي، مجلة الإسلام اليوم، مجلد٤، العدد١ ٣٨/ – ٣٩.

[٨٢] فتحي احمد عامر، المعاني الثانية في الأسلوب القرآني/٢٩٧.

المصادر

١.ابن حجر العسقلاني؛ أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج٢، دار الرسالة العالمية، بيروت، ٢٠١٣.

٢.ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٤.

٣.ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٤.

٤.أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، ج٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩.

٥.أبو فارس: محمد عبد القادر، النظام السياسي في الإسلام، ط٢، دار الفرقان، عمان – الأردن، ١٩٨٦.
٦.أبو فارس: محمد عبد القادر، النظام السياسي في الإسلام، ط٢، دار الفرقان، عمان – الأردن، ١٩٨٦.
٧.إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) (ط. طيبة)، ج٢، دار طيبة، ١٩٩٩.
٨.حسن يعقوب الفلاحي، الأصول التاريخية في الفكر العربي، مجلة الإسلام اليوم، مجلد٤، العدد١/٣٨ – ٣٩.
٩.د. بتول احمد جندية، على عتبات الحضارة بحث في السنن وعوامل التخلق والإنهيار، ط١، دار الملتقى للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ٢٠١١.
١٠.السيد قطب، النظر في ظلال القرآن، المجلد الثالث، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٣.
١١.السيد هاشم الحسيني البحراني، البرهان في تفسير القرآن، ج٣، مؤسسة البعثة، طهران– ايران، ١٩٩٥.
١٢.عبد الحميد باديس، تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ط الرشيد، دار الرشيد للكتاب والقرآن الكريم، الجزائر، ٢٠٠٩.
١٣.عبد الحميد صديقي، تفسير التاريخ، ج١، ط١، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠.
١٤.العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، المجلد السادس عشر، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، لبنان–بيروت، ١٩٧٤.
١٥.علي بن محمد الجرجاني، التعريفات للسيد الشريف أبي الحسن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٧.
١٦.علي عاشور، تفسير القرآن الكريم برواية الامام علي(ع)، ط١، دار الصفوة، ٢٠١١.
١٧.عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٥.
١٨.فتحي احمد عامر، المعاني الثانية في الأسلوب القرآني، ط١، منشأة المعارف، ١٩٩٨.
١٩.كهوس، رشيد محمد، سقوط الأندلس من منظور السنن الإلهية، جمعية إبصار للتربية والثقافة والبحث العلمي، المغرب، ٢٠١٥.
٢٠.محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ج٣، ط١، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ٢٠٠١.
٢١.محمد توفيق السبع، قيم حضارية في القران الكريم، دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٧٢.
٢٢.محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، محاسن التأويل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.
٢٣.محمد سعيد رمضان البوطي، سنن الله في عباده، دار الفكر المعاصر، دون سنة نشر.
٢٤.محيي الدين يحيى بن شرف النووي أبو زكريا، صحيح مسلم بشرح النووي، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٨١.
٢٥.مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري أبو الحسين، صحيح مسلم، ج٤، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، ٢٠١٠.

List of sources and references

1.Ibn Khaldoun, Introduction by Ibn Khaldoun, vol. 1, Al-Risala Foundation, Beirut, 2004.

2.Abu Abdullah Muhammad ibn 'Umar ibn al-Hasan ibn al-Husayn al-Taymi al-Razi aka Fakhr al-Din al-Razi, The Keys to the Unseen = The Great Tafseer, vol. 4, Dar al-Revival of Arab Heritage, Beirut, 1999.
3.Abu Fares: Muhammad 'Abd al-Qadir, The Political System in Islam, 2nd Edition, Dar al-Furqan, Amman, Jordan, 1986.
4.Sayyid Qutb, Considering the Shadows of the Qur'an, Volume III, Dar Al-Shorouk, Cairo, 2003 .
5.Muhammad Jamal al-Din ibn Muhammad Sa'id ibn Qasim al-Hallaq al-Qasimi, Beauties of Tafseer, 1st Edition, Scientific Books House, Beirut, 1997.
6.Ali Ashour, Interpretation of the Holy Qur'an by Imam Ali, 1st Edition, Dar al-Safwa, 2011.
7.Mohamed Tawfik Al-Sabaa, Civilizational Values in the Holy Quran, Dar Al-Manar for Publishing and Distribution, Cairo, 1972.
8.Abdelhamid Badis, Tafseer Ibn Badis or Reminder Councils from the Words of the Expert Hakim i Al-Rasheed, Dar al-Rasheed Book and the Holy Qur'an, Algeria, 2009.
9.Ali bin Mohammed al-Jurjani, Definitions of Sayyid Sharif Abi al-Hassan, Dar al-Fikr for Printing, Publishing and Distribution, Beirut, 1997.
10.Ismail ibn 'Umar ibn Qadir al-Qurashi al-Dimashqi Abu al-Fida'a Imad al-Din, Tafsir al-Qur'an al-Azim (Tafsir ibn Kathir) (i.e. Taybeh), vol. 2, Dar Tayyiba, 1999.
11.Kahous, Rachid Mohamed, The Fall of Andalusia from the Perspective of the Divine Tooth, Ibsar Association for Education, Culture and Scientific Research, Morocco, 2015.
12.Dr. Batoul Ahmed Jundia, On the Thresholds of Civilization, A Research on Teeth, Factors of Creation and Collapse, 1st Edition, Al-Multaqa House for Printing, Publishing and Distribution, Syria, 2011.
13.Muhyiddin Yahya ibn Sharaf al-Nawawi Abu Zakaria, Sahih Muslim Sharh al-Nawawi Edition, 1st Edition, Dar al-Fikr for Printing, Publishing and Distribution, Damascus, 1981.
14.Ibn Hajar al-Askalani; Ahmad ibn Ali ibn Muhammad al-Kinani al-Askalani, Fatah al-Bari with commentary on Sahih al-Bukhari, vol. 2, Dar al-Risala al-Alamiya, Beirut, 2013.
15.Muslim ibn al-Hajjaj al-Qushiri al-Nisaburi Abu al-Hussein, Sahih Muslim, vol. 4, Scientific Books House, Beirut, Lebanon, 2010.
16.Muhammad Sa'id Ramadan al-Bouti, Sunan Allah in his Servants, Dar al-Fikr al-Hadhar, without a year of publication.
17.Abu Fares: Muhammad 'Abd al-Qadir, The Political System in Islam, 2nd Edition, Dar al-Furqan, Amman, Jordan, 1986.
18.Sayyid Hashim al-Husseini al-Bahrani, Al-Burhan in the Interpretation of the Qur'an, vol. 3, Mission Foundation, Tehran, Iran, 1995.
19.Ibn Khaldoun, Introduction to Ibn Khaldoun, vol. 1, Al-Risala Foundation, Beirut, 2004.
20.Mohamed Al-Rishahri, Mizan Al-Hikma, Vol. 3, Volume 1, Dar Al-Hadith for Printing, Publishing and Distribution, Cairo, Egypt, 2001.
21.Allama Sayyid Muhammad Hussein al-Tabatabai, Al-Mizan in the Interpretation of the Qur'an, Volume XVI, Al-Alami Foundation for Publications, Lebanon-Beirut, 1974.

22.Abdelhamid Siddiqui, Tafsir al-History, vol. 1, vol. 1, Dar al-Qalam, Beirut, 1980.
23.Imad al-Din Khalil, Islamic Interpretation of History, 1st Edition, Dar al-Alam for Millions, Beirut, 1975.
24.Fathi Ahmed Amer, Second Meanings in the Qur'anic Style, 1st Edition, Al-Maaref Establishment, 1998.
25.Hassan Yacoub al-Falahi, Historical Origins in Arab Thought, Journal of Islam Today, vol. 4, No. 1/38-39.